الوهية الفراعنة بين الواقع والخيال

دكتور

عيد عبد العزيز عبد المقصود

مدرس الآثار المصرية

بكلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى

الوهية الفراعنة بين الواقع والخيال

لعل من أهم الموضوعات التى تثير إهتمام المهتمين بحضارة مصر القديمة سواء أكان متخصصاً أو غير متخصص ، ما يسمى بالفرعون المؤله ، أو إدعاء فرعون مصر الألوهية . ولقد تناول البعض هذا الموضوع بالدراسة لبعض جوانبه [١] ، ولكن هناك بعض النقاط الأخرى التى هى بحاجة إلى دراسة وتحليل ؛ ولذلك كان هذا البحث ، والذى يهدف إلى دراسة هذا الموضوع من خلال بعض النصوص والمناظر من عصر الدولتين الوسطى والحديثة ، والتى اشتملت على إتجاهين متناقضين للفرعون ؛ إتجاه يظهره فى وضع الإله ، وآخر يدل على بشريته ، ورغم تناقضهما ؛ فقد تلازما معاً فى النص الواحد والمنظر الواحد بل وفى المكان الواحد ، ثم يتخلص البحث فى النهاية السبب فى ذلك التناقض بين ألوهية الفرعون وبشريته .

لقد وجدت الكلمة المصرية القديمة pr-ᶜ3 (بر - عا) منذ عصر الدولة القديمة ، وهى كلمة مركبة من « بر » بمعنى بيت ، « عا » بمعنى عظيم ؛ أى البيت العظيم ؛ ولذلك استخدمت فى ذلك الحين للإشارة إلى القصر الملكى الذى يعيش فيه الملك[٢] وكانت أحيانا تضاف إلى كلمة ملك [٣]

---

(١) عن ألوهية الفرعون ، راجع على سبيل المثال :

W. Barta, Göttlichkeit des regierenden Königs, in : MÄS 32, 1975, passim; E. Blumentahl, Untersuchungen zum ägyptischen Königtum des Mittleren Reiches, 1970, 94 ff., 134 ff.; L. Habachi, Deification of Ramesses II., in : ADAIK 5, 1969, passim; D. Wildung, in : OLZ 68, 1973, 549 ff.; id. in: LÄ III, 1980, 533f.; A. Radwan, in: MDAIK 31, 1975, 99 ff.; id. Aspekte der Vergöttlichung des ägyptischen Königs Ägypten, Dauer und Wandel, 1985, 53 ff.;

عبد العزيز صالح - دراسات فى التاريخ الحضارى لمصر القديمة - ١٩٥٧ (مقالة عن الفرعون المؤلة - ص ٣٢-٤) .

(٢) R. Hannig, Die Sprache der Pharaonen, Großes Handwörterbuch Ägyptisch - Deutsch, 1995, 279; Wb I, 516; جاردنر - مصر الفراعنة - مترجم بالقاهرة - ص ٧١

(٣) Hannig, op. cit., 279; Wb I, 516.

البيت الملكى العظيم 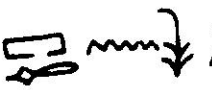 pr-ᶜ3 n nsw

(أى القصر الملكى الكبير أو العظيم)

وقد بقيت هذه الكلمة « بر - عا » تستخدم للإشارة إلى القصر الملكى حتى منتصف الأسرة الثامنة عشرة حين أصبحت منذ عهد الملك تحتمس الثالث تشير إلى الملك نفسه كلقب من ألقابه[١] . وقد استمرت هذه الكلمة فى اللغة القبطية هكذا .

ⲡⲉⲣⲟ (S.):ⲡⲣⲣⲟ(S. A. A_2.);ⲡⲣⲱ(AK.) [٢]

ثم جاء العرب ونطقوها فرعون ، وتعنى كلمة فرعون فى اللغة العربية : لقب ملك مصر فى التاريخ القديم ، وأصله بالمصرية (برعو) بغير نون ، ومعناه البيت العظيم ، وهو لقب كل عات . وتفرعن فلان : تجبر وطغى . وتفرعن أى تخلق بأخلاق الفراعنة ، والفرعنة : التجبر والتكبر ، وفرعن فلاناً : مكنه أن يتجبر ويطغى[٣] ، وهكذا وردت فى القرآن الكريم أربعاً وسبعين مرة[٤] ، وتدل على فرعون مصر الذى عاصر سيدنا موسى عليه السلام . وقد كان شخصية سيئة اتصفت بالجبروت ، والطغيان ، والعنف وكذلك إدعائه للألوهية ، فيذكر القرآن الكريم عن إدعائه للألوهية :

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[٥]

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[٦]

﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[٧]

هكذا ادعى فرعون موسى الألوهية ، ولكن ربما لم تستخدم لفظ إله هنا بمعنى

(١) Urk. IV, 1248, 16; Wb I. 516.

(٢) W. Westendorf, Koptisches Handwörterbuch. 1977. 150.

(٣) المعجم الوسيط - الجزء الثانى - ص ٧٠٩ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - إعداد محمد فؤاد عبد العال - ١٩٩٦ - ص ٦٢٦ - ٦٢٧ .

(٥) القرآن الكريم - سورة النازعات - آية ٢٣ - ٢٤ .

(٦) القرآن الكريم - سورة القصص - آية ٣٨ .

(٧) القرآن الكريم - سورة الشعراء - آية ٢٩ .

الخالق والمعبود ، بل فى معنى الحاكم والمطاع المطلق[1] الذى لا يُرد حكمه وأوامره ولا يمكن أن ينازع سلطانه أحد ، فهو يقول لقومه ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾[2] .

على الرغم من إدعاء فرعون للألوهية ، إلا أن هناك ما يدل على اعترافه هو وَمَلَؤُه ببشريته وأن هناك آلهة أخرى فيقول الملأ له ﴿ **أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ** ﴾[3] ، فلفظ ﴿ **وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ** ﴾ توحى تمام الإيحاء بوجود آلهة لفرعونهم . وفى نفس الوقت كان الفرعون وملؤه يدركون تمام الإدراك أن هناك إلهاً أعلى وهو رب العالمين ، فعندما أرسل عليهم الله سبحانه وتعالى الطوفان والجراد والقمل والضفادع كعقاب لهم نتيجة لتكذيبهم وكفرهم بموسى ، نجد القرآن الكريم يصور استنجادهم بموسى ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[4] .

وفرعون نفسه رغم إدعائه الألوهية كان يدرك فى قرارة نفسه حقيقته البشرية ، فعندما استيقظ من غفلته وموج البحر يحيط به ، عاد إلى فطرته الأولى مثل كل إنسان عندما يتعرض للشدة واعترف بلسانه بأنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وآمن به . ولكن كان ذلك فى الوقت الضائع .

﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[5] .

هكذا صور لنا القرآن الكريم اتجاهين ، ادعى فرعون مصر فى أحدهما الألوهية ، وفى ثانيهما اعترف وملؤه ببشريته . وهذا ما صورته لنا النصوص ، والمناظر المصرية القديمة .

فجدران المعابد والمقابر تمتلأ بالعديد من المناظر التى تصور الفراعنة وهم أمام الآلهة

(١) أبو الأعلى المودودى - فرعون فى القرآن - ترجمة أحمد أدريس - ص ١٣٥ .
(٢) القرآن الكريم - سورة الزخرف - آية ٥١ . (٣) القرآن الكريم - سورة الأعراف - آية ١٢٧ .
(٤) القرآن الكريم - سورة الأعراف - آية ١٣٤ . (٥) القرآن الكريم - سورة يونس - آية ٩٠ .

يقدمون لهم التقدمات المختلفة وكذلك وهم يتعبدون إليهم ، أو يركعون من أمامهم ، وكذلك وهم فى حمايتهم يتلقون عنهم الحياة والثبات والصحة[١] .

وفى الاتجاه الآخر ، نعتت الحاشية التى حول الملك ملبكهم بالقاب الألوهية ، فأطلقوا عليه ntr « إله »[٢] ، ntr-nfr « إله طيب »[٣] ، ntr-ᶜ3 « إله عظيم »[٤] . وكذلك أطلق عليه ntr-ᶜnḫ « إله حى » ، ntr-wᶜ « إله واحد » ntr-mnḫ « إله مفيد » ، ntr-pn « هذا الإله »[٥] . وأيضاً صوروه فى حالات كثيرة مساوياً للآلهة الحقيقية الكبيرة[٦] .

وكنتيجة لذلك ، فقط اختلط الأمر على المصرى القديم ، فجمع بين الاتجاهين فى كثير من الحالات . فكتب النص مشتملاً على ألقاب الملكية ، وكذلك القاب الألوهية ، وصور ملكيه متعبداً للآلهة وفى نفس الوقت لقبه بالقاب الألوهية ، والعكس صوره إلهاً ، وأعطاه ألقاب الملكية ، بل صوره بشراً وإلهاً فى منظر واحد . والأمثلة الآتية توضح ذلك التناقض .

١- لوحة من اخرجه[٧] من عهد الملك سنوسرت الثانى جاء فى أعلاها صيغة القرابين منحها آلهة مختلفة لصاحب اللوحة « نب بو » مثل حدج حتب ، بتاح ، أنوبيس ، ختتى - غتى[٨] وجاء الملك سنوسرت الثانى (خع - خبر - رع) على

(١) See C. Vandersleyen, Das alte Ägypten, 1975, Abb. 127, 143, 181, 308; K. Lange, & M. Hirmer, Ägypten, 1985, Abb. 134, 142, 146, 147; J. Leclant, Ägypten, 1979, 52, fig. 41.

(٢) Wb II, 358; R. Koch, Die Erzählung des Sinuhe, 1990, B. 47

(٣) Wb II, 361; Urk. I, 96, 10.

(٤) Wb II, 361; Urk. I, 8, 7; Koch, op. cit., B. 216.

(٥) Wb II, 358f.

(٦) See A. Radwan, in : MDAIK 31, 1, 1975, 99 ff.

(٧) قرية صغيرة عند مدخل الفيوم وشرق اللاهون .

(٨) R. Engelbach & B.Gunn, Harageh, BSAE 28, 1923, 26 f., pls XXIV (2), LXXI.

راجع أيضاً ، عبد العزيز - دراسة الفنون (النحت - النقش - الرسم - الفنون الصغرى) فى الفيوم فى عصور الازدهار فى مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، شكل ١٣٣ .

هـــذه اللوحة مؤلهاً مانحاً القرابين - مثل الآلهة السابقة - لصاحب اللوحة ، وفى نفس الوقت جاء قبل اسمه اللقب الملكى nswt-bit « ملك مصر العليا والسفلى» (شكل ١) .

٢- لقد أُعتبر الملك أمنمحات الثالث إلهاً حامياً للفيوم ، وعُبد هناك حتى العصر الرومانى[١] فعلى بعض الأوانى الفضية لابنته الأميرة نفروبتاح والتى عثر عليها فى مقبرتها فى هوارة[٢] ، ذكر الملك أمنمحات الثالث على أنه إله مثل بقية الآلهة التى ذكرت فى صيغة القرابين الممنوحة إلى الأميرة نفروبتاح، وهم: أمنمحات الثالث ، جب ، بتاح سوكر ، أوزيريس ، سوبك الفيومى المقيم فى الفيوم ، التاسوع الكبير والتاسوع الصغير (شكل ٢) . ولكن رغم ذلك نجده مصوراً واقفاً متعبداً إلى سوبك الفيومى ، وحورس المقيم فى الفيوم ؟ وذلك على لوحة فى كيمان فارس فى الفيوم[٣] ، ويعمل لهما التعبد أربع مرات - dw3 ntr sp fdw « التعبد للإله أربع مرات » رغم ذكر النص فوقه أنه ntr-nfr « الإله الطيب » (شكل ٣) .

٣- فى مدينة غراب بالفيوم شُيد معبدان ، أحدهما كبير من الحجر وكرس لعبادة سوبك وبعض الآلهة الأخرى إلى جانب الملك تحتمس الثالث الذى شيده[٤] والآخر الصغير من الطوب اللبن وكان مخصصاً بصفة رئيسية لعبادة الملك تحتمس الثالث[٥] .

---

(١) H. Kees, Das alte Ägypten,[2], 1958, 122; J. von Beckerath, in: LÄ I, 191; F. Gomaà, TAVO, Beih. B/66. 1, 295.

(٢) N. Farag, & Z. Iskander, The Discovery of Neferwptah, 1971, 12 ff., fig. 8, 9, 10.

(٣) راجع عبد عبد العزيز ، المرجع السابق ، ١٤١ وما بعدها ، شكل ١١٩ .

(٤) W. F. Petrie, Kahun, Gurob and Hawara, 1890, 32; id., Illahun, kahun and Gurob, 1891, 16, pl. XXV; Thomas, P. Angela, Gurob, A new Kingdom town, 1981, 20.

(٥) F. Z. S. Loat, Gurob, 1904, 1 ff., pl. XIV; J. Capart, Les Antiquities Egyptiennes, 1905, 60.

ولقد وجدت فى هذين المعبدين بعض اللوحات تظهر أصحابها وهم يتعبدون إلى الملك تحتمس الثالث الإله والذى اتخذ اللقب ntr-nfr [1] ؛ حيث نجده جالساً ، أو واقفاً ومن أمامه صاحب اللوحة وحده ، أو مع أسرته يتعبدون له برفع الأيدى ، أو وهم يقدمون له التقدمات . وعلى الرغم من أن الملك تحتمس الثالث هنا مؤلهاً إلا أن النص المصاحب يذكر ألقاباً ملكية مثل nb t3wy «سيد الأرضين» nb ḥ^{c}w « سيد التيجان» (شكل ٤) .

ومن نفس المكان ، أى من مدينة غراب تظهر بشرية الملك على لوحة لشخص يدعى « نب نثرو » الذى يظهر فى الجزء الأسفل منها متعبداً إلى الإله سوبك الفيومى والإله بتاح الواقف داخل مقصورته خلف سوبك [2] ، أما المستوى الأعلى ، فقد وقف فيه الملك تحتمس الثالث مقدماً إلى الاله حرى شف والإله بتاح الواقف خلفه داخل مقصورته ، ويذكر النص المصاحب أنه ntr-nfr nswt nb t3wy nb ḥ^{c}w « الإله الطيب ، الملك ، سيد الأرضين ، سيد التقدمة » (شكل ٥) .

٤- فى المتحف البريطانى بلندن (رقم ٨٣٤) توجد لوحة من مدينة غراب لشخص يدعى « كاى » كان كاهناً مرتلاً hry-ḥb ، ويظهر فى الجزء الأعلى من اللوحة الملك أمنحوتب الثالث مع زوجته تى وهما يجلسان على العرش فى مواجهة الإله أوزيريس الجالس على عرشه ، وخلفه ايزيس واقفه ، وبينهما مائدة القرابين [3] .

وفى هذا الوضع يظهر الملك أمنحوتب الثالث المتوفى وزوجته تى متساويين فى الألوهية مثل أوزيريس وإيزيس ، نعرف ذلك من النص المصاحب الموجود فى الجزء الأسفل من اللوحة [4] (شكل ٦) .

---

(١) Loat, op. cit., 7 f., pls. XVff.; Thomas, op. cit., 20, 84, pl. 39 , 40 .

(٢) عبد العزيز ، المرجع السابق ١٥١ ، شكل ١٢٩ . Loat, op. cit., 8, pl. XVI (5);

(٣) A. Rowe, in : ASAE 40, 1940 , 624; H.-R. Hall, Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae in the British Museum. VII. 1925, pl . 21.

(٤) A. Radwan, in: MDAIK 29, 1973, 75 (Footnote 26), id., in : Ägypten-Dauer und Wandel. 1982. 68, Abb. 25.

ورغـــم ألوهية امنـحوتب الثالث وزوجـته هنا ، إلا أن الملـك أمنحوتب الـثالث يتلـــقب بـألقاب الملكية «[1] nb ỉrt ḥt « سيـد التقـدمة » ، nb ḥ^{c}w « سيد التيجان » .

وعلى عكس هذا الوضـع يظهر الملك أمنحوتب الثالث وزوجتـه تى على لوحة من نفس المكان ؛ أى من مدينة غراب . وقـد وقفا أمام الإله آمون رع وزوجته موت . والملك يرتدى التاج الأزرق ، ويقوم بحرق البخور ، وخلفه زوجته تى تقوم بعملية التعبد عـن طريق رفع الأيدى[2] ؛ أى أنهمـا هنا فى وضع بـشر عاد ، يتـعبدون للآلهة (شكل ٧) .

٥- على لوحة خاصة - يظهر الملك رمسيس الثانى مؤلهاً ، وقد أخذ مكان الإله أوزيريس فى الثالوث المشهور (أوزيريس - إيزيس - حورس)[3] . ويقف أمامهم صاحب اللوحة متعبداً إليهم ، ورغم وجود الملـك رمسيس الثانى هنا مكان أوزيريس ؛ أى أنه إله - إلا أنه تلقب بـاللقب الملكى nswt-bit « ملك مصر العلـيا والسفلى » (شكل ٨) .

٦- على لوحة من أبيدوس[4] صور الملك رمسيس الثالث فى الجزء الأعلى منها يقدم إلى أوزيريس وحورس وإيزيس وفى نفس الوقت جاء قبل اسمه اللقب nṯr-nfr « الإله الطيب » ، أما فـى الجزء الأسفل ، فيظهر صاحـب اللوحة رافعاً يديه مـتعبداً إلى الملك ست نخت وزوجته تى مريت إيزيس[5] (شكل ٩) .

وعلى الرغم مـن تصوير ست نخت وزوجتـه تى مريت إيزيس هنا يـوضح أنهما معبودان يـتعبد إليهـما صاحب اللوحـة ، إلا أننا نجد الملك يـأخذ لقب nṯr-nfr «الإله الطيب » ، والذى أخذه الملك رمسيس الثـالث فى أعلى اللوحة وهو يتعبد ،

---

(١) راجع Wb II, 228 .

(٢) L. Borchardt, Der Porträtkopf der Königen Teje, 1911, 18,. Abb. 24; PM IV, 113

عبد عبد العزيز ، المرجع السابق ، ١٧٤ - شكل ١٤٥ .

(٣) A. Radwan, in : MDAIK 31, 1, 1975, 102, Abb. 6.

(٤) A. Mariette, Abydos II, Taf. 52. Abb. 7.

(٥) A. Radwan, in : MDAIK 31, 1, 1975, 103, Abb. 7.

مما يدل على أنه أعطى للملك البشر العادى والملك الذى تم تأليهه ، وفى نفس الوقت تلقب الملك ست نخت هنا باللقب الملكى nb t3wy « سيد الأرضين » . أما الزوجة فقد تلقبت بلقب ḥmt-nswt wrt mwt nswt « الزوجة الملكية العظيمة ، الأم الملكية » ، وذلك رغم ألوهيتها هنا .

٧- فى جنوب أسوان بحوالى ٢٨٠ ك م ، وعلى الضفة الغربية للنيل شيد الملك رمسيس الثانى معبدين ، كُرس الكبير منهما لعبادة الآلهة : « أمون رع معبود الكرنك ، بتاح معبود منف ، رع حور أختى معبود هليوبوليس ، وكذلك الملك رمسيس الثانى نفسه ، أما الصغير ؛ فقد كرس لعبادة الإلهة حتحور سيدة إبشك (= فاراس إلى الجنوب من أبى سمبل) وأيضاً زوجة الملك رمسيس الثانى الملكة نفرتارى[١] .

وفى هذين المعبدين تتضح البشرية والألوهية فى آن واحد ؛ فالكثير من النقوش يظهر فيها الملك رمسيس الثانى وزوجته الملكة نفرتارى فى علاقات مع الآلهه المختلفة وهم يتعبدون ، ويقدمون . وكذلك وهم فى حمايتهم[٢] (شكل ١٠) ؛ أى أنهما بصورة بشرية عادية . وفى الاتجاه الآخر نرى الملك رمسيس الثانى إلهاً واقفاً مع الآلهة ، والتى يقدم لها رمسيس الثانى البشر . ونراه كذلك ، وقد جاور تماثيل الآلهة فى قدس أقداس المعبد الكبير ؛ وذلك دلاله على كونه إلهاً مثلهم[٣] .

وفى مقصورة قدس أقداس المعبد الصغير (شمالاً) يوجد نقش يمثل الملك رمسيس الثانى واقفاً يقوم بحرق البخور ، وعملية السكب أمام رمسيس الثانى الجالس ، وبجواره زوجته نفرتارى ؛ أى أنه فى صورته الأولى بشر بينما جلس مع زوجته فى وضع الآلهة .

(١) E. Otto, in LÄ I, 25 ff.; D. Arnold, Die Tempel Ägyptens, 1992, 78 ff.

(٢) See for example Chr. Desroches-Noblecourt. & Ch. Kuentz, Le petit temple d' Abou Simbel II, 1968, pls. XLI, XLIII, XLVI. XLVIII, LVI, XCVIII, XCIX, CIX.

(٣) See L. Habachi, Deification of Ramesses II, in: ADAIK 5, 1969, pls. III, IV, V (b) .

وبينما تلقب رمسيس الثانى البشر بلقب ntr-nfr « الإله الطيب » نجد الألقاب الملكية تصاحبه فى صورته الإلهية .

nswt-(bỉt) nb t3wy nb ỉrt ḫt nb ḥ^{c}w [1]

« ملك مصر العليا والسفلى ، سيد الأرضين ، سيد التقدمة ، سيد التيجان » (شكل ١١) .

من خلال الأمثلة السابقة يظهر التناقض فى بشرية الملك وألوهيته ويبدو لى أن هذا الخلط إنما سببه الحاشية المحيطة بالملك ؛ حيث كان يحيط به مجموعة من كبار رجال الدولة اختارها بنفسه من العظماء ، والمستشارين ، وكبار قادة الجيش ، وكبار الكهنة - كانوا يساعدونه فى تسيير أمور الحكم ، وكان عليه أن يحسن علاقاته بهم جميعًا .

ويبدو أن طائفة الكهنة كان لها التأثير الكبير على الشعب ؛ لذلك وطد الملك علاقاته بهم؛ فأجزل لهم العطاء ، ولبى طلباتهم، وشيد لآلهتهم المعابد ، والمقاصير ، فزادت ثرواتهم من إقطاعات المعابد . وكان عليهم مقابل ذلك الإيحاء وإقناع طوائف الشعب المختلفة بقدسية الجالس على العرش، فصوروه إلهاً يُعبد ويُقدم له من قِبل بعض الأفراد خاصة فى مناطق له فضل ونشاط فيها ، مثل الفيوم بالنسبة للملك سنوسرت الثانى وأمنمحات الثالث وتحتمس الثالث وأمنحوتب الثالث ، وأبو سمبل بالنسبة للملك رمسيس الثانى وزوجته نفرتارى . بل وأظهروه نفسه مقدماً ومتعبداً لنفسه ؛ وذلك حتى يكون قدوةً ومثلاً أمام شعبه ، ولكن فى نفس الوقت لم ينسوا أنه بشر ؛ ولذلك حدث الخلط الذى رأيناه ؛ فهو إله ولكن تصاحبه ألقاب الملكية . وكانوا من ناحية أخرى يوحون إلى فرعونهم أن الآلهة هى التى نصرته ، وأيدته ؛ ولذلك لابد أن يشيد لها المعابد والمقاصير ، ولابد من تصويره وهو يتعبد ويقدم لها ؛ أى كانوا يقصدون إظهار بشريته واحتياجه دائمًا إلى الآلهة الكبرى ؛ وذلك أيضًا حتى تستمر الاغداقات عليهم وعلى آلهتهم .

(١) Chr. Desroches-Noblecourt. & Ch. Kuentz., op. cit., I, 1968, 104. fig. 2 (6) ; II, pl. CXXII.

هكذا يريد الملك العرش ، والابتعاد بنفسه عن الطامعين فيه ، وتريد الحاشية المناصب العليا ، والقربى ، والإنعامات . والشعب ليس له فى هذا ولا ذاك . واستمر ذلك تقليدا وتوالا تسير عليه أمور البلاد .

لقد وضح دور الكهنة هذا فى عصر الملك أمنحوتب الرابع ، فعندما أعلن عن عقيدته الجديدة « ديانة آتون » لم يباركها الكهنة ، ووقفوا فى طريقها ؛ لأنها ليست فى صالحهم ؛ حيث تتعارض مع القواعد الدينية التقليدية التى يسيرون عليها خاصة بعد أن أغلق اخناتون بعض المعابد أو حدد على الأقل أوجه نشاطها ، وحاول التخلص من تدخل كبار الكهنة ، وضم ممتلكاتهم إلى أملاك الدولة[1] ؛ ولذلك لم تنجح دعوة إخناتون هذه ، فبعد وفاته تعود الأمور إلى سابق عهدها قبل عهده .

بل كان لهم التأثير على توت عنخ آمون ، الذى رجع من تل العمارنة إلى طيبة وجعلوه يصدر مرسوما يتحدث فيه عن الأوضاع المؤسفة التى سادت فى البلاد فى عهد الملك أمنحوتب الرابع ، ومعلنا فيه عودة العبادات السابقة ، وقد وُضع هذا المرسوم فى معبد أمون رع بالكرنك[2] . كما أمر توت عنخ أمون أن تسجل مواكب احتفال عيد « أوبت » ، ورحلة آمون السنوية على جدران معبد الأقصر (الممر الضخم ذو الأربعة عشر أسطوناً) .

كذلك عندما جاء موسى بدعوته الحق رأى الملأ الذى حول الفرعون أن ذلك خطر عليهم سوف يقلب التقاليد التى يسيرون عليها ، فحدث الصدام بينهم ، وأرادوا هم والملك قتله .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[3] .

---

(١) نيقولا جريمال - تاريخ مصر القديمة - مترجم بالقاهرة سنة ١٩٩٣ - ص ٢٩٣ .

(٢) عن هذا المرسوم انظر

Urk. IV, 2025 - 2032; A. Schlögl, Echnaton - Tutanchamun. Fakten und Texte., 1983, 85 - 88 .

(٣) القرآن الكريم - سورة غافر آية ٢٦ .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[1] .

ومجمل القول أن هناك ثلاثة إتجاهات يمكن أن يستخلصها البحث من العرض السابق :

الإتجاه الأول : واقع الأمر ، وهو بشرية فرعون ، وهو ما صورته أغلب المناظر المصرية القديمة .

الإتجاه الثانى : الخيال ، وهو إدعاء فرعون مصر الألوهية ، وظهوره فى بعض المناظر فى وضع الإله .

الإتجاه الثالث : ما بين الواقع والخيال ، وهو التناقض بين الألوهية والبشرية ، وهو ما صورته الأمثلة السابقة ؛ حيث اختلط الأمر بين الهيئتين ، فجاء الفرعون فى صورة الإله ولكن تصاحبه ألقاب الملكية ، وظهر فى المنظر الواحد يتعبد لنفسه ، بل إن المكان الذى عُبد فيه ، تعبد فيه هو نفسه للآلهة الأخرى .

ويبدو أن السبب فى ذلك الخلط والتناقض إنما يعود فى المقام الأول إلى الحاشية التى تحيط بالفرعون ، خاصة كبار الكهنة ، والذين قصدوا من ذلك القربى ، والإنعامات الكثيرة ، والمناصب العليا من قبل فرعونهم .

(١) القرآن - سورة القصص آية ٢٠ .

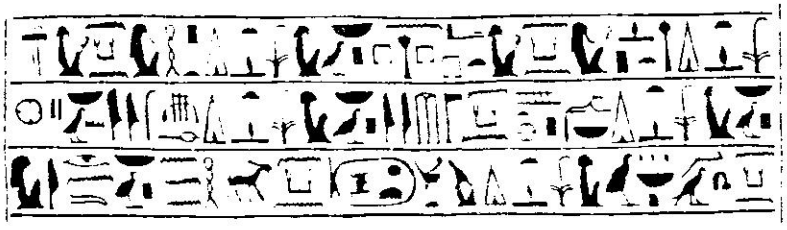

(شكل ١) صيغة القرابين فى أعلى لوحة الحرجة

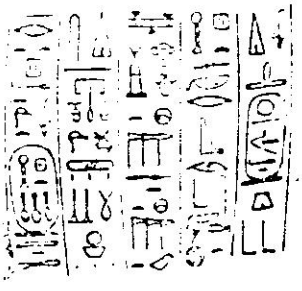

(شكل ٢) صيغة قرابين آنية نفروبتاح الفضية - هوارة

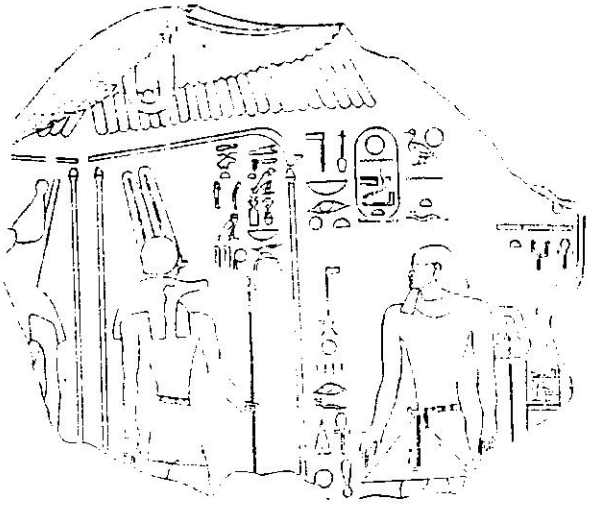

(شكل ٣) لوحة كيمان فارس

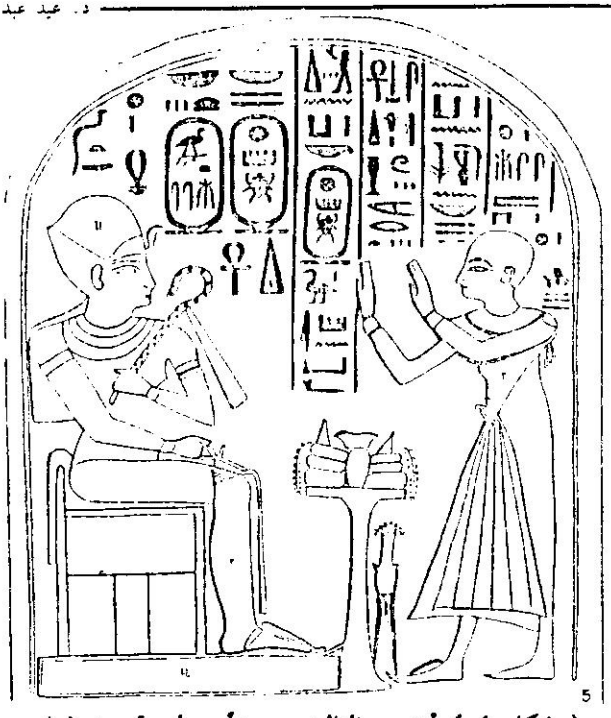

(شكل ٤) تحتمس الثالث معبوداً - لوحة من غراب

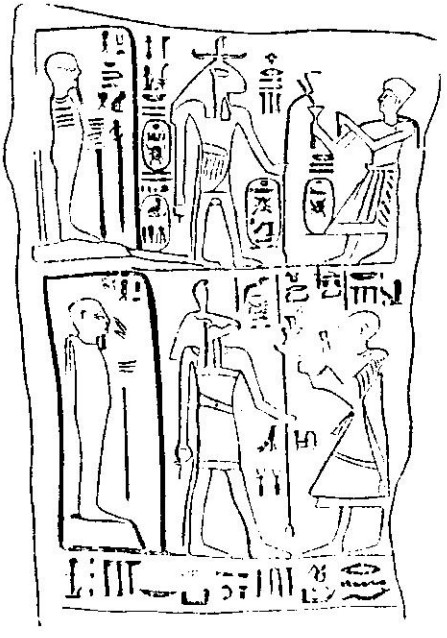

(شكل ٥) تحتمس الثالث بشراً - لوحة من غراب

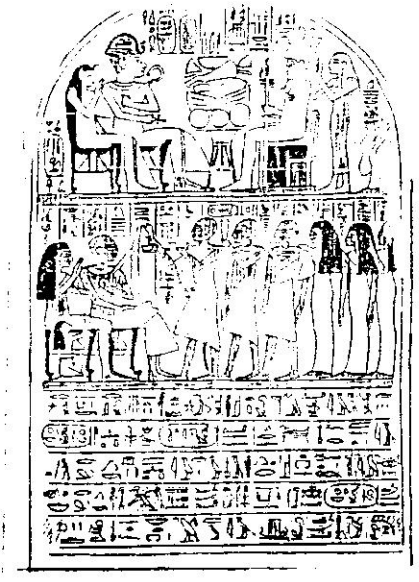

(شكل ٦) لوحة من غراب - المتحف البريطانى (رقم ٨٣٤)

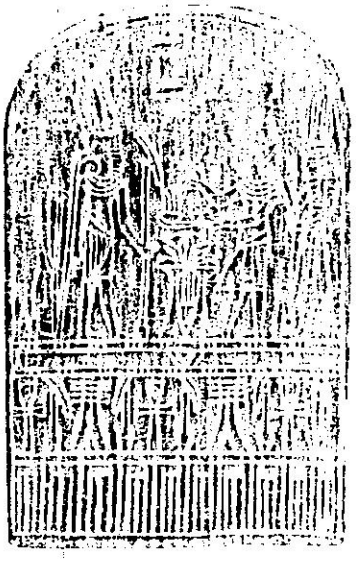

(شكل ٧) لوحة للملك أمنحوتب الثالث وزوجته تى - من غراب

(شكل ٨) رمسيس الثانى معبوداً - لوحة خاصة

(شكل ٩) رمسيس الثانى بشراً - ست نخت وزوجته تى مريت إيزيس آلهه - لوحة من أبيدوس

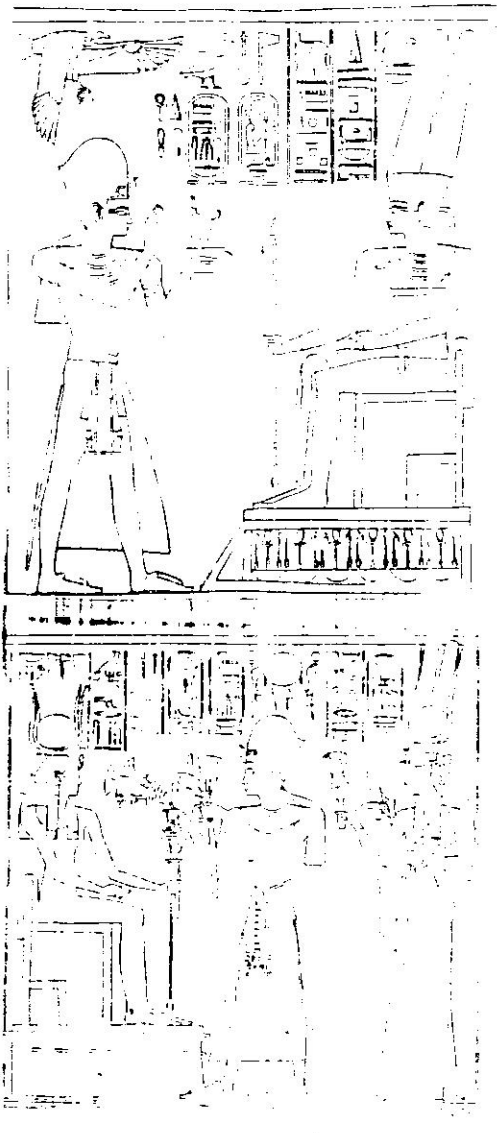

(شكل ١٠) رمسيس الثانى وزوجته نفرتارى بشر - معبد أبو سمبل

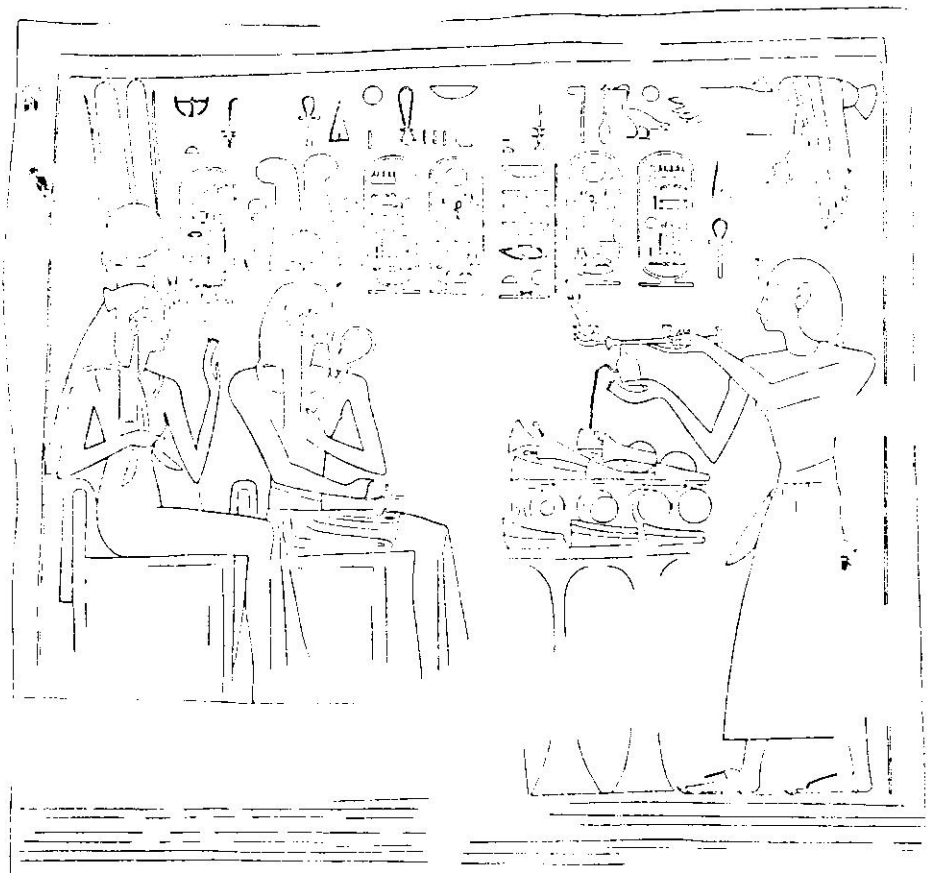

(شكل ١١) رمسيس الثانى يتعبد لنفسه ولزوجته نفرتارى - معبد أبو سمبل